حول الطب الشرعي وأهميته

بقلم : الاستاذ عبد الرزاق الحائك

تحت هذا العنوان نشرت مجلة « البيان » في العدد السادس عشر مقالا قيما بقلم الاستاذ كاظم معله الحامي ، حسبته — لأول وهلة — نقداً مراً أراد به كاتبه تشويه قصتي المعنونة « غلطة طبيب » (١) المنشورة في العدد العاشر من هذه المجلة الزاهرة . فاخذت اقرأه بدقة وامعان واقارن بينه وبين نقاط القصة ؛ باحثاً عن نقطة الضعف التي تسرب منها نقد هذا الكاتب . ولكن ما أشد دهشتي حين وجدت الناقد الكريم يضرب على نفس الوتر الحساس في صميم القصة ؟ [أهمية الطب الشرعي] ولا اختلاف بينـــه وبيني من حيث الجوهر « مؤهـلات الطبيب » بل غاية ما اختلفنا فيه اللغة لا اكثر ، فكأني وضعت القصة المنوه عنهـا باللغة الدارجـة ، وشرحها هو وحللها باللغـة الفصحى — لغة القانون — ومن هذه الطريقة كساها ثوباً شفافا يبدى ما خفى من جمالها .

فلا يسعني — والحال هذه — إلا ان ارفع شكري وامتناني مشفوعين بتقديري واعجابي لحضرة الحقوقي لما أبداه من الاهتمام في تحليل ونقد النقاط المهمة ، وشرح وايضاح المبهم والملابس .

قال : « ان تحقيق الجرائم لم يكن منوطاً بالطبيب الشرعي وانما يرجع اليه في المرحلة الثانية أي عندما يحتاجه المحقق العدلي فعند وصول خبر الحادث الى المحقق عليه أن يذهب حالا الى محل الحادث ومعـــه ادواته ومساعديه لمعرفة الواقعـة قبل اندثار الجريمة ... الخ »

وأنا القائل : « فلم تلبث الأقاويل ان انتشرت عنها [سلمى] وعن الشاب « سالم » وتجسمت هذه الاقاويل فصارت تهمة لهما بانهما سما سعداً ، ووصل النباء الى السلطات فسارعت الى القبض عليهما . »

ومن هذا يتبين للقاري ان السلطات اتخذت الاجراءآت اللازمة قبل ان تنيط الامر بالطبيب الشرعي . واعتماداً على ذوق القاريء لم اذكر الاجراءات مباشرة بل ذكرتها في آخر جلسة حيث قلت : « ولما جاء يوم المحاكمة سمعت شهادة اناس كثيرين من اهل القرية قالوا كلهم ان سلمى كانت تبغض زوجها من جراء كسله وخموله ، وأضاف بعضهم « اني سمعت سالما يقول لسلمى اياك وكشف السر فاجابته سأجتهد بالكتمان فلا تخف » وقال آخرون : انهما « تآمرا عليه ليزيحاه عن طريق حبهما . الخ » قال الاستاذ : « ولهذا يشترط في الطبيب نفسه ان يكون فاهماً ذا ضمير حي ووجدان وشرف ، وان يشعر بأهمية الموضوع ... الخ » . (٢)

وأنا القائل : « وكان في المدينة طبيب يدعى « ماهر » حاز شهرة واسعة فيها وفي القرى المجاورة ؛ لم يكن هنـاك طبيب يدانيه ، فكان في نظر الجمهور بطل الاطباء واعجوبة الطب ومعجزة العلم ... الخ »

واما قوله « وغباوة طبيب لا تدل على ان الطب الشرعي ليس له أهمية » هـذا قول يدل على تسرع الناقد بالحكم دون تروي ؛ والا ففي أية زاوية من زوايا الحادثة وجد هذه المأخذة ..؟ بينا القصة من ألفها الى يائها تدور حول أهمية الطب الشرعي ، وقد بينت هذه الأهمية في مقدمـة القصة حيث قلت « لتقرير الطب الشرعي أهمية بالغة في الجرائم فاذا كان فيه خطأ ... الخ » وبرهنت على هذا باخراج الجثة من قبرها مرتين وكيف ان المحقق ضرب باقوال الشهود عرض الحائط ازاء تقرير الطبيب الثاني . وشرحت الدليل الذي بنى عليـــه الطبيب الاول حكمه (وجود الزرنيخ وشهادة الشهود بان المجني عليه مات مسموما) .

من هذه المقارنة الوجيزة يتضح لنا ان الاستاذ كاظم اكسب القصة رونقاً وبهاءً واعطاها من الأهمية اكثر مما اعطاها الكاتب نفسه ، اذ فسح المجال امام القاريء بأن يفكر اكثر من ذي قبل فيما لو ان الطبيب الاول اتخذ من الاجراءآت ما اتخـذه الطبيب

---

(١) هـذه القصة هي الحلقة الأولى من سلسلة قصص اجتماعية ألفتها خصيصاً لمجلة البيان تحت عنوان شامل « العـدل الجائر » سوف اقدمها للنشر تباعا عند سنوح الفرصة .

(٢) هذه المؤهلات وما فوقها لا تصوب الطبيب عن الخطأ ولا يشترط في الطبيب ان يكون فوق مستوى الطبقة الراقيـة في الوسط .

قصة

الحب في ظل الحرية

بقلم : الاستاذ حسن الجواهري

لقد كان (جميل) واحداً لأبويه الثريين شاباً نضراً يتدفق نشاطاً وحيوية . تعلم وتثقف في ظل العلم والادب وفي احضان الراحة والنعيم وكان لابد له أن يحب فالحياة بدون حب في نظره جافة لا طعم فيها ولا ذوق وكانت بيئته تفرض عليه ذلك لأنها بيئة شعرية راقية تكتنفها حضارة زاهية وليدة القرن العشرين وكان حبه متركزاً في جمال المرأة الطبيعي ذلك الجمال الخلاب الذي يلهم القلوب الحساسة الوحي والخيال ويكسب النفوس الواعية المتوثبة مرونة وقابلية . وكان يكره التصنع ويبغض التطرية ويضيق ذرعا بفتيات المدن اللواتي اتخذن هذا النوع من الجمال المزيف واسطة لكسب رضا الرجال والتحكم في قلوبهم وعواطفهم لذلك كان يفر الى الخلاء في أعالي الجبال ينشد فيها جمال المرأة على حقيقته وفطرته وكم في الجبال جمال يهز العواطف ويحرك اسلاك القلوب . فكان يجلس تحت شجرة من اشجار الجوز وارفة الظل مترامية الاطراف مطلا على واد سحيق ينحدر الى قرارة ذات مروج خضر ومياه كالسلسبيل . يطالع ويفكر ويعجب ويتأمل في ذلك الابداع الالهي الحافل بالجمال والجلال في عزلة شاملة ووحدة طليقة وسكون عميق . وكان لابد لأبويه أن يفكرا في أمر زواجه تفكيراً جدياً كما هي عادة الناس جميعاً في فلذات اكبادهم وثمرات نفوسهم فهما جاران عاملان للحصول على فتاة غنية ومن اسرة تضاهي اسرتها في الجاه والشرف مع غض النظر عن الجمال البارع الذي ينشده ذلك المتطلع في أعالي الجبال وظلال الاشجار . وكانت على بعد عشرين متراً من الشجرة التي يستظل بها جميل عين ماء يستقي منها سكان القرية التي تبعد عنها مسافة قصيرة حيث يتجمع عليها اسراب من الفتيات القرويات وبأيديهن الجرار لملأها في اوقات مخصوصة من النهار . وفي الوقت الذي يقع نظر الوالدين على الزوجة الغنية التي ستكون شريكة حياة جميل يكون هذا الفتى قد علق قلبه بشراك فتاة ريفية في العقد الثاني من عمرها ذات جمال طبيعي خلاب وسحر وجاذبية من أروع ما يحرك اوتار قلب الشاعر المتحسس هذه الفتاة لأسرة ريفية تقطن جبل لبنان وتعيش على زراعة الكروم (اسمها سلمى) كانت تتردد على العين كغيرها من فتيات القرية لتموين بيتها بالماء وتشاء الصدف ان تؤخرها ذات يوم عن الميعاد الذي يسمح لها باخذ الماء بسهولة ويسر فتحضر والشمس مائلة إلى المغيب وفتيات القرية يتزاحمن بالمناكب ويتدافعن بالأيدي على العين بصورة جعلت الحصول على الماء متعذراً وتشاء الصدف ايضاً ان يكون جميل حاضراً ذلك الزحام وهو يجيل بطرفه في وجوه القرويات المشرقة وأيديهن الراخصة وسوقهن العاجية البارزة . وكانت سلمى آنذاك واقفة في ناحية والجرة في يدها وقد اخذت منها الحيرة مأخذاً عنيفاً قاسياً جعلت الدموع تترقرق في جفنيها الدعجاوين الأمر الذي لفت نظر « جميل » وهزّ أريحيته فما كان منه إلا وتقدم الى الفتاة وتناول الجرة من يدها برفق ثم راح يتدافع مع الفتيات الى أن تمكن من ملأ الجرة وأعادتها الى صاحبتها فرحاً فتناولتها منه بابتسامة عذبة وشكر جزيل ونظرة لا يدرك مغزاها إلا الشاعر الحالم والعاشق المتيم .

فراحت الأيام تتعاقب وجميل مسحور بتلك النظرة التي حركت اسلاك مشاعره وأيقظت كوامن عواطفه يسبح في لجج الخيال ويهيم في بيداء الفكر غير مستقر على حال وسلمى تروح وتغدو كعادتها ولكنها تحييه وترشقه بنظراتها المليئة بالحب والحنان فيرد عليها بما فطر عليه من دعابة حلوة ورقة متناهية وادب رفيع ونيران الغرام تتأجج في حنايا ضلوعه . وكان طبيعياً أن تظهر

الثاني لما وقع القضاء في هذا الخطأ الفظيع .

فلا غرابة اذا ما قلت — والحق يقال — من حسن حظ هذه القصة قيض الله لها من ذوي الخبرة من يضعها على مائدة التشريح لتظهر مزاياها الجميلة .

وختاما ارفع تحياتي العاطرة الاستاذ كاظم معله المحامي ومن يحذ وحذوه ؟

البصرة — عبد الرزاق العائشي